

# إحدى الشخصيات المسرحية لسارتر ساهمت في تشويه أفكاره

في الذكرى الـ41 لوفاته علينا تصحيح مقولته «الجحيم هو الآخرون»



لكي نفهم مسرح سارتر علينا فهم فلسفته كاملة

ويمكننا بالطبع كمتلقين ومؤسسين حقيقيين للمعنى الأدبي ألا تلقى بالآ لتدخل المؤلف لصل قضية متعلقة بنص أكثر من تعلقها بمؤلفها، ويمكننا الاعتماد التام على النص في حد ذاته لعلنا أنه يتجاوز مقاصد وأيديولوجيا المؤلف الواعية كونه (أي النص) يمتلك في حد ذاته لأغويه الخاص به. ومع ذلك ويغض النظر عن محاولة سارتر الأخيرة هذه فإن العوامل التي سردها سلفا تعطي إمكانية قوية لإعادة النظر في تفسيرنا للأدب لا كقطعة مقدسة تنطق بالحقائق الأدبية بل كقطعة جمالية تتضمن الواو مختلفة من التأويلات المشروعة.

والسؤال الذي يستحق أن يطرح هنا ليس: لماذا العلاقات جهنمية لدى سارتر؟ بل: لماذا استخدم سارتر عبارة «الجحيم هو الآخر»؟

إن خلق صدمة وكسر الرضا لدى الجمهور المشاهد أو القارئ ونقله من حالة سلبية إلى حالة تفاعل وتفكير، هي التي تهتم، ومن خلال عبارة كهذه حققت المسرحية من الانتباه ما لم يكن من الممكن تحقيقه فيما لو تجنبت تلك الصدمة. أما السبب الآخر فيتعلق كما أشرنا بوضع أبطال المسرحية نفسها حيث يتولد الجحيم الحقيقي من خضوع كل واحد منهم للآخر واتخاذهم جلاداً وحكماً له.

## مقولة «الجحيم هو الآخرون» التي جاءت في إحدى مسرحيات سارتر تحولت إلى شعار لخص فلسفته بشكل مغلوط

هذه الطريقة في قول شيء بطريقة أخرى صادمة تريننا أن ما تعرضه المسرحية ليس قضية بل «قضية مضادة»، وهذا يعني أن كل فهم مباشر للكلمات سيخلق سوء فهم كبيراً فيما لو اكتفينا به كوجه وحيد للتأويل الأدبي.

أخيراً، يسعنا قول الناقد الإيطالي أمبرتو إيكو في التزام جدونا المعقولة في تأويل النص حين يقول «النصوص الأدبية عادة ما تفصح عن أشياء أكثر من تلك التي يعرفها مؤلفوها، لكنها أقل من الأشياء التي يريد القراء المتطرفون أن تفصح عنها». ويعني بهذا أن التأويل واسع الحدود لكنه يصبح تطفلاً عندما يصل إلى حد يتجاوز معه القارئ النص ومعطياته.

شكلت هذه العلاقة الثلاثية موضوع إحدى روايات سيمون دو بوفوار المعنونة بـ«المدعوة». يمكننا أن نرى من خلال هذه النقاط الثلاث أن مقولة «الجحيم هو الآخرون» لا تستدعي أي قيمة مطلقة إن أردنا لها ذلك، بل ترتبط بمعطيات المسرحية والسياق الذي تُعرض فيه حكاية الشخصيات. ويُحيل الناقد دوني بونوا سوء الفهم الحاصل بخصوص هذه المسرحية إلى طبيعة موضوعها الفلسفي. فيرى أن ما خلق تشوشاً في فهم وتأويل المسرحية هو أنها أوقعت قضية فلسفية مُعقدة في يد جمهور غير مؤهل لها. ويرى أنه لكي نفهم مسرح سارتر علينا فهم فلسفته كاملة.

## خلق الصدمة

حقيقة إن فلسفة سارتر ليست منغلقة وقاصرة بهذا الشكل الساذج. فإلى جانب مفهوم الصراع الذي يصنع العلاقات فإن الأنا في فلسفة سارتر لا تتشكل ولا تتعرف على نفسها ولا تتطور دون الآخر، والقول إن الآخر هو سبب الأذى والصراع، لا يعني أنه لا تتزاع الصراع والأسى من عالمي على الأقل، بل يعني أن الحركة التي تقتضيها علاقتي مع الآخر كحرية في مواجهة حرية أخرى هي التي تخلق تلك الديناميكية التي لا يُفترض أن تكون سلبية أو شريرة في حد ذاتها.

وفي تسجيل صوتي متأخر عام 1965، أي بعد نحو إثني وعشرين عاماً من عرض المسرحية لأول مرة، قدّم سارتر تصحيحاً لهذه المقولة قائلاً «إن مقولة الجحيم هو الآخرون» فهمت على الدوام بشكل مغلوط. ما أردته هو شيء آخر تماماً. أردت حقيقة القول إنه إذا كانت علاقاتنا مع الآخرين ملئوتية وفاصلة فإن الآخر سيكون لا محالة الجحيم بذاته».

وأشار سارتر إلى أن ما ظهر على خشبة المسرح هو بالضبط ما لا يجب أن تكونه العلاقات مع الآخرين عليه، لأن استناد المسرحية كان على علاقات مغلوطة وأحكام مُقيدة لا على علاقات سليمة. وهناك بالطبع من النقاد من رفض هذا التصحيح المتأخر من سارتر، إذ يقول بيير فيرستراين «لا ندعم على الإطلاق هذا التناقض الذي يلبس ثوب المخلص لسارتر. ليست هناك وسيلة لأن نقصد ما جاء في «الأبواب المغلقة» بطريقة واضحة، حيث أن سارتر قال بحق إن الأسي والخجل والألم لا مهرب منها في العلاقة مع الآخر».

حتى الذين لا يعرفون جان بول سارتر ولم يقرأوا أيًا من أعماله يعرفون أنه ذلك المتشائم القائل «الجحيم هو الآخرون»، وقد أردنا في يوم ذكرى وفاته الموافق للـ15 من أبريل 1980، أن نقدم قراءة أخرى لهذه المقولة التي فهمت ولا تزال تُفهم بشكل مغلوط إلى يومنا هذا.

وأما إستيل فهي نموذج غارق في سوء الطوية وهي قاتلة لطفها. تفيدنا هذه التفاصيل في مسح طابع الموضوعية عن أقوال الشخصيات حيث أن المسرحية تُسند حالات أبطال مضادين، فلا ينعف والحالة هذه جعل أقوالهم الناجمة من واقع قصصهم سمة للحقيقة الإنسانية عامة. يكرس التأويل عادة نوعاً من الإسقاط العام بحيث أن الأحكام تأخذ سمة العام والموضوعي وتصبح أحكاماً مطلقة، وبهذا يحقق الأدب عظمته، لكننا نعلم في ذات الوقت أن عالم الأدب هو عالم النسبية وغايته ليست تقديم ثوابت خاصة بالطابع البشرية بل الكشف الريف عنها بعيداً عن الجزم والتأكدات.

وفي مسرحية «الأبواب المغلقة» يجب ألا نغفل أن هذه الشخصيات تُمثل من وجهة نظر سارتر الجانب السلبي للأشخاص المستعدين الذين لا يرون حريتهم ولا مسؤوليتهم إزاء الآخرين. فالحقائق لسن ترد على الاستنهم على الأقل، وهنا من المهم أن نسقط مقولة «الجحيم هو الآخرون» على تجربة هؤلاء الثلاثة لا على الطبيعة الإنسانية بشكل عام ومطلق.

ويأتي السبب الثاني لتأكيد المعنى الجهني السابق للعلاقات إلى المكان الذي تدور فيه أحداث المسرحية. فالمكان المختار في المسرحية هو غرفة مغلقة بلا نوافذ، وبباب لا يُفتح وبممرات لإنهاية تؤدي كل منها إلى ممرات وغرف أخرى مشابهة إلى ما لإنهاية له. تجعل هذه السوداوية المكانية عامل الجهنمية حاضراً بقوة وتصبح السمة الجهنمية قابلة للإسقاط بسلاسة على العلاقات المتأزمة بين الشخصيات.

ثالثاً، يرتبط مفهوم الجهنمية في هذه المسرحية بالذات بالعلاقة الثلاثية. وهذا النوع من العلاقة جهنمي لأنه يتناقض مع علاقة الحب المثالية التي تفترض إنثنين: ذاتاً وموضوعاً. أي أن كل علاقة حب منظورة من قبل عين ثالثة مُعرضة للتهديد والنفي. فالنظرة الثالثة هي نظرة حكم تقيم الحب بين الحبيبين وتمنع تبادل أدوار الذات والموضوع بشكل تلقائي بينهما. وقد عاش سارتر بنفسه جحيم علاقة ثلاثية مع صديقته سيمون دو بوفوار وعشيقتها أولغا كوزاكيفيتش، كما

# فنان سوري يصوغ حكايات وتحفا للأطفال بالنحت على الخشب

اللاذقية (سوريا) - اختار مادة الخشب خاملة لإعماله الفنية فصنع غيرها وجوها وملامح وقطعا انصفت بالدقة في التفاصيل والجمال، ليصنع النحسات يوشع فاضل لنفسه اسما ومكانة في مجالي النحت على الخشب والديكور.

ومنذ قديم الأزل سخر الإنسان كل عناصر الطبيعة لخدمة مصالحه، واصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياته، ولعل تحويل هذه العناصر إلى عمل جمالي أو تحفة فنية هو ما أعطى قيمة معنوية ومادية لكل عنصر ومورد في هذه الأرض الشاسعة.

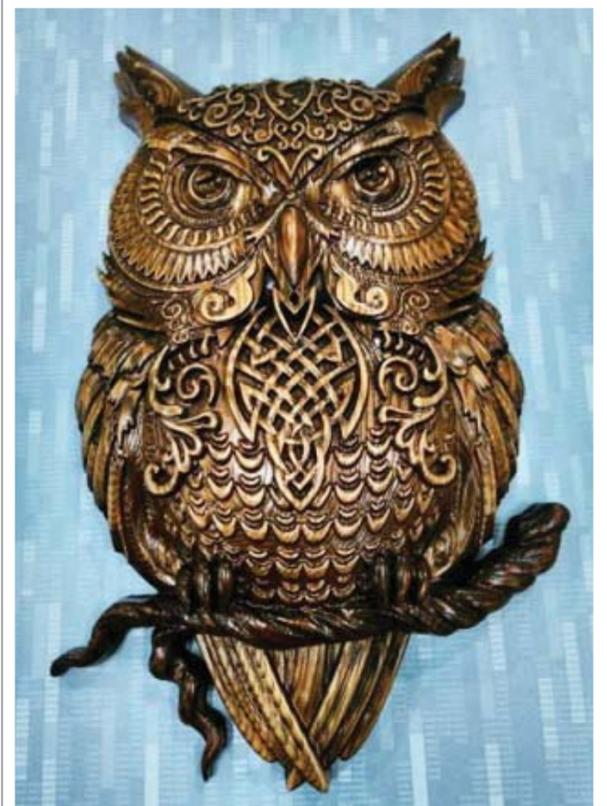
ويعتبر فن النحت أو الحفر على الخشب من الفنون التي تضرب جذورها في التاريخ البشري، وبإمكاننا أن نقول إن تاريخ هذا الفن بدأ منذ أن برى الإنسان لأول مرة الخشب بآداة حادة، لكنه تطور مع مرور الزمن وتراكم التجارب ليؤسس عدة تقنيات خاصة ويتناول مواضيع متنوعة.

يوشع فاضل في كثير من الأحيان يتعلق بأعماله التي ينجزها حتى أنه يرفض التخلي عنها أو بيعها

يقول يوشع فاضل ابن مدينة اللاذقية في حديث معه «بدأت بممارسة هذه الحرفة منذ 6 سنوات حيث ورثتها من والدي الذي كان معلم مدرسة ونجاراً يعمل في الديكور ولديه اهتمام بفن الخط، ولكنني أضفت على ما تعلمته منه الكثير من الآلات والتصاميم الحديثة وخاصة في فن النحت فصممت الرسوم واخترت الألوان بدقة لأحول لوحاتي الخشبية إلى تحف فنية».

الخشب هو المادة الأولى للفنان لإنجاز النحت عليه، وهذا ما يحتم عليه أن تكون مادته متمتعة بالقوة وخالية من العقد الخشبية، الأمر الذي جعل الكثير من الفنانين يلجأون إلى استخدام أخشاب قوية ورسنية كأشجار الجوز والعناب والشمشاد وما شابه ذلك، إلا أن ذلك لم يمنع فنانين آخرين من استخدام أخشاب أخرى متوفرة مثل شجر الجوز لإنتاج صناعاتهم اليدوية.

ومن ناحية أخرى، فإن فن النحت على الخشب له شعبية كبرى ومطلوب لدى أغلبية الناس لتزيين بيوتهم، لكنه عند فاضل يتجاوز مجرد الزخرف والحرفة إذ يحمل بين طياته رسائل فنية وتاريخية وفكرية متنوعة يخطها الفنان ببراعة على مادته الخشبية



النحت رسالة ثقافية



هيفا نجي  
كاتبة سورية

وردت مقولة «الجحيم هو الآخرون» على لسان شخصية غارسان في مسرحية سارتر المعنونة بـ«الأبواب المغلقة» أو «لا مفر»، كما وردت في ترجمتها الإنجليزية، ومن ضمن ما يُفهم من هذه المقولة أن الآخر هو مصدر الشر والإساءة، وأن العالم كان يمكن أن يكون جنة لولا وجود الآخر فيه.

وقد تحولت هذه المقولة على الفور إلى شعار لخص فلسفة سارتر في العلاقات بشكل لم يكن أي تصحيح أو تأويل مغاير لها ممكناً، حتى أن كل محاولات سارتر اللاذقية في أعماله من مشاريع التضامن والالتزام السياسي وغيرها لم تُعرف كما عُرفت هذه المقولة السلبية في تعبيرها الأولي، بل صارت مضرب مثل لمن يود إظهار تسامحه الإنساني مقابل أُنانية سارتر المُفترضة. ولذا كان السؤال عن سبب قوة هذه المقولة ومن ثم تأويلها أمراً يستحق التأمل والبحث.

إن معرفة أسباب قوة وشهرة هذه المقولة تُكشف عن احتمالية أن يكون المفهوم الجهنمي للعلاقات متأثراً من عوامل محدّدة متعلقة بالمسرحية لا بالطبيعة الإنسانية عامة. ونوجز هذه العوامل في ثلاث نقاط أساسية تتعلق بتأويل المسرحية، بينيتها الفلسفية، وأخيراً بسلبية المقولة في حد ذاتها. ولنتفحص هذه النقاط هنا لنرى ممّ وكيف نبتت فكرة الجحيم.

## الأبواب المغلقة

تتمحور مسرحية «الأبواب المغلقة» حول صراع ثلاث شخصيات سجنينة إلى الأبد في جحيم من نوع خاص، دون أدوات تعذيب أو نيران متقدة. إن شخصيات المسرحية هم جميعاً ممن ارتكبوا جرائم في حياتهم، وأنت ميّتهم كرد وعقاب على أعمالهم، فغارسان الذي يستنح أن «الجحيم هو الآخرون» هو شخص هارب من الجندي وهو معذب لزوجته، أما أنيس التي تلعب دوراً سادياً ضد غارسان فهي شخص أفسد حياة حبيبين فانتهي بها الأمر إلى الموت اختناقاً بالغاز،